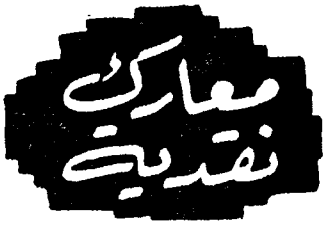

حذار البنيوية !...

محمد عبد المنعم خفاجة

البنيوية باعتبارها آخر صيحة في عالم الفلسفة بدأت تطلّ برأسها في العالم العربي بدراستين جادتين : الاولى هي كتاب « مشكلة البنية » من تأليف أستاذ الفلسفة الراحل الدكتور زكريا ابراهيم . والكتاب الثاني الذي نتناوله بالنقد هو كتاب « نظرية البنائية في النقد الادبي » للدكتور صلاح فضل أستاذ الادب المساعد بكلية البنات .

ومؤلف الكتاب يمتاز بالموضوعية وأمانة العرض وسعة الاطلاع على مؤلفات أعلام هذا المذهب مثل المفكر الروسي جاكولسون والفرنسي بارت أكبر من طبّق البنيوية على النقد الادبي ، وليفي شتراوس أعظم المتخصصين في دراسة علم الانسان أو الانثروبولوجيا . وفرديناند دي سوسور عالم اللغة السويسري . غير أن العرض الموضوعي ومحاولته تقديم هذا المذهب للقارىء العربي لاول مرة أفقداه الحسّ النقدي . وهو كتاب في النقد الادبي . كما أفقداه ابراز امكانية أن يستفيد النقد العربي من هذا المذهب أم يكون عامل اعاقة لتقدمه ..

والبنيوية في أساسها نظرة جديدة الى اللغة لمعرفة التكوين الداخلي لها بشكل مطلق بصرف النظر عن خصوصية كل لغة بالبحث عن نظام الرموز داخلها وبالبحث عن مجموعة العناصر الشكلية فيها . ثم اتسع نطاق الدراسة البنيوية ليشمل مجالات علم النفس والانثروبولوجيا وشتى مظاهر الثقافة . وفيلسوف البنيوية يحاول في كل هذه المجالات أن يكتشف النظام الصوري في الظواهر باعادة بناء الواقع وصياغته وفق انموذج وهي تحاول بهذا اكتشاف الشيفرة السرية الكامنة وراء النشاط الانساني باكتشاف البنية أو المرتبة أو الهيكل وتعني به دائما وجهة النظر الثابتة ومن ثم فهي تصور تجريدي من خلق الذهن وليست خاصية للشيء .

والنزعة الشكلية الصورية سمة واضحة في كل ما يقوله البنيويون ، وهي محاولة احياء لمذاهب ميتة ماتت سريعا لانها استبعدت الانسان من جهة ولانها استبعدت المنظور التاريخي من جهة أخرى ، ولانها فرضت قوالب فكرية جاهزة على الواقع لتكبيله من جهة ثالثة .. ان البنية محاولة يائسة لتجديد النزعة التحليلية التي تفتت الظاهرة فتفقدها طابعها المركب .. وهي محاولة يائسة لتجديد نزعة أصحاب الوضعية المنطقية التي لا تعترف الا بجزئيات العالم الخارجي في حالة تفكك دون ترابط انساني ودون تنام تطوري نازعة فتيل التاريخ والخبرة البشرية .. وهي محاولة يائسة لميكنة الواقع والانسان وجعل الواقع والانسان ذرات صورية متفرقة على نحو المذهب الذري الذي نادى به

برتراند راسل . والبنيويون في كل هذا ليسوا الا تكنوقراطيين حرفيين في معرفة نماذج الرموز والاشارات داخل الظواهر .. لكنهم ينسون ان هذه الرموز والاشارات ابداعات ذات مدلول انساني وانها ليست مجرد قوالب جوفاء .

ومؤلف الكتاب الدكتور صلاح فضل قام بجهد كبير وعرض أمين لاصيل لفكر البنيويين لكنه جهد في لا فضيه .. وفي الوقت نفسه اخلّ بالبناء المعماري لكتابه برغم انه عن البنيوية .. فقد كتب مقدمة تاريخية طويلة عن البدايات الاولى لهذا المذهب في ٢٢٦ صفحة من عدد صفحات الكتاب البالغ ٣٨٨ صفحة ، وانتظرنا حتى ص ١٣٩ لكي نعثر على أول تعريف واضح للبنيوية.

فاذا انتقلنا الى صلب الكتاب فماذا نجد ؟ انه دراسة عن البنائية في النقد الادبي وكنا نتوقع أن يحدد لنا رساله الناقد الآخذ بهذا المذهب وكيفية عمله واختلاف دراساته عن غيره من أصحاب الاتجاهات النقدية الاخرى وتقديم نماذج تفصيلية أجنبية وعربية منقودة على نحو بنيوي ، لكن المؤلف لم يخصص لكل هذا الجانب سوى ١٣ صفحة فقط وانتقل الى الحديث عن لغة الشعر والقصة والاسلوب وكلها مسائل داخلة في علم الجمال . وحتى لو كانت جزءا من مهمة الناقد فان مهمته ستستحيل الى مجرد توصيف للنماذج لا تقييم للعمل الادبي ، مما يخلّ بالظاهرة الادبية باعتبارها ظاهرة انفعالية جمالية تقييمية . ان النقد البنائي يقتصر على النمذجة ويحول العمل الادبي الى قالب أجوف ، وكل مهمة المبدع أن يحشوه مما يسطح رسالة المبدع . بل ان المؤلف عندما تحدث عن القصة عند البنيويين قال انه يمكن وضع الهياكل الاساسية وتحديد عددها .. لكن ألا يترتب على هذا الغاء الناقد ما دامت الهياكل قدد تحددت مسبقا ؟ ان المؤلف لم يوضح لنا كيف سيعرف البنيويون مسبقا ان ما في أيديهم ابداع أدبي .. ولم يوضح لنا النتائج المترتبة على هذا المذهب في وطننا العربي : تعميق النزعات الشكلية الصورية ابداعا ونقدا أكثر مما هي متعمقة .. بل انه لم يخبرنا كيف سيرتضي الناقد لنفسه حتى لو كان من أتباع البنيوية أن يصبح تلميذا في فصل تحدد له هذه المدرسة جدولا للتحليل يبدأ من الفقرة في الكتاب الى الفصل حتى يشمل الكتاب بأكمله ؟ ان البنيوية تذهب الى ان الادب لا باعث له ؛ وهي تسفر بهذا عن وجهها الحقيقي بمحاولة يائسة اخيرة لتجديد نظرية الادب للادب . مستغلة التقدم العلمي داخل شقشقة من المصطلحات اللغوية . انها بنية بلا بنائية لانها لا تبني شيئا جديدا للانسان ، الامر الذي يلقي بتساؤل حول العنوان : ألسنا أمام فلسفة بنيوية لا فلسفة بنائية ؟!

مدينة المقطم — **مجاهد عبد المنعم مجاهد**

شركة خياط للكتب والنشر (ش م ل)

٩٢ ـ ٩٤ شارع بلس ـ ص.ب ٦٠٩١
بيروت ـ لبنان ـ تلفون ٣٤٤٩٩٨

يسرها ان تقدم

الموسوعتين الكبيرتين

موسوعة الشعر العربي

الشعر العربي في شتى عصوره ومناطقه منذ العهد الجاهلي حتى عهد النهضة العربية الحديثة .

٢١٥ شاعرا من العصر الجاهلي
٩٠ شاعرا من العصر المخضرم
٢٤٥ شاعرا من العصر الاموي
٥٢٤ شاعرا من العصر العباسي
٢٧٠ شاعرا من العصر الاندلسي
٤٣٠ شاعرا من عصور الانحطاط
٢٩٢ شاعرا من عصر النهضة العربية
شعراء عديدون من العصر الحديث

دراسات قيمة عن كل شاعر ، حياته ، بيئته، شعره، عرض مشوق لافكار الشاعر واغراضه ومقاصده .

في ٣٢ مجلدا ضخما تضم الشعر العربي قديمه وحديثه ، كل مجلد يقع في ٦٥٠ صفحة من القطع المتوسط .

ديوان الشعر العربي كله بين يديك في مجموعة واحدة تصدر اجزاؤها تباعا .

●

موسوعة الفن العربي

... الفن والتزيين وهندسة الماضي المعمارية في ٢٠٠ لوحة اكثر من نصفها بالالوان ، تضمها ثلاثة مجلدات كبيرة ، أصدرتها مكتبة خياط للكتب والنشر في بيروت وباريس ، وهي أجمل هدية عن الفن الاسلامي ، من تصوير وتصميم « بريس دافين » الذي كان قد درس طوال اعوام مظاهر الفن العربي ، ليخرج هذه الموسوعة عن اجمل آثار العالم الاسلامي.

تحفة رائعة تزين مكتبة بيتك او مكتبك ، وتصور ادق ما توصل اليه الرسامون والمزخرفون والنقاشون الاسلاميون والعرب في العصور الماضية .

●

اطلب الموسوعتين من شركة خياط للكتب والنشر ، شارع بلس بيروت ، او من فرعها في باريس :

Les Editions KHAYAT 25, Rue Berne
75008 PARIS Tél : 293 - 68 - 33